الفصل الواحد والعشرون
"تنفيذ الخطة"

مرّ على تلك الأحداث يومان لم يحاول فيهما هشام محادثة جنّة كي يترك لها مجالا لتتدارك الموقف، لا يعرف أنها لم تترك هاتفها لحظة تتلهف لتلك اللحظة التى تومض بها الشاشة معلنة أنه المتصل، يدور برأسها ألف سؤال وسؤال تتحرق لسماع إجاباتهم منه.

ذهبت جنة إلى جامعتها لتباشر دراستها كما كانت، وضربت بكلام هشام عرض الحائط، لقد انتهَى تدخّله في حياتها تحت أي مسمى، أزعجها كثيرًا عدم تركيزها في محاضراتها؛ فعقلها ووجدانها كانا محلّقَيْن بعيدًا إلى مدى لم يعد بوسعها استعادتهما وقتما شاءت.

أنهت محاضراتها لليوم وغادرت دون توديع صديقاتها، لقد نسيَت أمرهُنّ تمامًا، وخرجت من الجامعة شاردَة الذهن، داعبَتْها نسمة هواء لطيفة فحلّق طرف حجابها متبخترًا يداعب وجنتيها، ولما أزاحته برفق عاد يغازلها ثانية، لكن تلك المرة استقر على عينيها.

أزاحته ثانية وفتحت عينيها ببطء لترفعها قليلًا، وتصطدم بمن لا يفارق ذهنها.. هشام!

لم تنبسّ بحرف، وابتعدَت عنه لتتابع سيرها؛ فاستوقفها قائلًا بنبرة حزينة:

- جنة لو سمحتي، عايز أتكلم معاكي.

التفتَت إليه، وطالعته بنظرات باردة وقالت:

- تكلّمني في إيه يا سيادة الرائد.. إيه؟ متّهمة في قضية جديدة ولا حاجة؟

أطرق رأسه وطرفَ عينيه بمرارة، وأردف:

- صدّقيني يا جنة أنا ماكانْش قصدي أكذب عليكي.. أنا..

جنة بانفعال:

- انتَ إيه؟ ها انتَ إيه؟ على العموم مايفرِقْش معايا، احنا أصلًا مفيش بيننا حاجة، ولا إيه؟

تركته لتذهب، فقال بصوت قلب يستغيث بها:

- جنة أنا بحبك.

لم تنكر أن قلبها هاجمها في تلك اللحظة كألدّ عدو، لكنها التفتَت له مرتدية قناع البرود ذاته، وقالت:

- متأخر قوي يا سيادة الرائد، وعلى العموم الكلمة دي مش من حقي دلوقتي.. وأنا ماتعوّدتش آخد حاجة مش من حقي.. سلام، آه وألف مبروك.

- جنة.. يا جنة استنّي!

غادرت ولم تُعِرْ نداءه انتباهًا، لا تريد إظهار ضعفها له، ليس بعد الآن؛ فمسحت عبراتها بهدوء وتابعت سيرها متظاهرة بالثقة والجمود.

زفر هشام حانقًا لما يعتري قلبه النازف من ألم شاق، حينذاك أتاه اتصال هام؛ فغادر إلى شقة المنيل.

- إيه بقى؟ لقيت أخبار جديدة أخيرًا؟

- مش بس كده يا فندم، دي الخطة النهائية واللي هينفذوها خلاص يوم الجمعة الجاي.

- أوف! إيه التوقيت ده؟ ده يوم الخطوبة.

- بالظبط يا فندم.

- يا ولاد اللعيبة.. ورّينا يا ابني أما نشوف ناويين يهببوا إيه.

فتح الآخر جهاز لاب توب، ووضع به كارت ذاكرة، نقر على إحدى الأيقونات ليتم عرض فيديو يدور به الحوار الآتي:

- كارولين، ركّزي.. العملية هتتم يوم الجمعة، أنا وقتها هكون في حفلة خطوبة هشام، ساعة الصفر هتكون الساعة ٩ بالظبط، وقتها أنا هعمل اللي اتفقنا عليه، وانتِ هتتحركي على فيلا ماجد الحُرّ وتقومي بمهمتك، وكده أكون أنا خَلِيت مسئوليتي وعملت اللي عليّا، عارفة يعني إيه؟ يعنى لو اتمسكتِي واتطلب مني إني أقبض عليكي وقتها.. مش هتردد.

- كارولين مابتتهدّدْش، واطّمّن أنا مابفشلش في عملية، خلّي الكلام ده لنفسك واعمل اللي عليك عشان ماتسيبش ديل للقضية، أنا كده كده هسافر وهطلع من مصر، انتَ اللي هتشيل الليلة لو مانفذتش المطلوب منك.

- اعتبريه حصل.. طب وبالنسبة لحسابي اللي لسّه مادخلهوش دولار واحد.

- ممكن تعمل له check دلوقتي وهتلاقي نص المبلغ اتحوّل عليه، والنص التاني بعد ما أخرج من مصر.

- لاا.. أنا مايعجبنيش الكلام ده كده.

- وده اللي عندي.. واطمّن احنا كلمتنا واحدة.

- امم.. يا سلام ع الأخلاق، أما نشوف.

أغلق هشام اللاب توب وأردف:

- كده بقى كل حاجة واضحة.. لازم نجهز بأقصى سرعة.

- تمام يا فندم.

*****

يوم الجمعة وبالتحديد بعد صلاة الظهر، أقامت جنّة صلاتها وقرأت سورة الكهف، وبعد أن انتهت أتَت سارة تحمل بيدها كأسًا من العصير لها، وفنجان نسكافيه ناولته لجنة، فقالت الأخيرة:

- تسلم إيدك يا ساسو.

- أي خدمة يا ستي، المهم ننُول الرضا.

ضحكت جنة بعد فترة من العذاب النفسي، لكن لم تدم ضحكتها طويلًا، بل انطوَت ليحلّ محلها العبوس ثم البكاء، والذي تطور بعد إلى الصراخ وانهيار تام، لحظة واحدة انحبسَت بها الأنفاس لتخرج في هيئة نيران

متأجّجة، ودموع حارقة، صدمة اجتاحَت عقلها فسلبته ونالت من فؤادها المُحطَم؛ فوثبَت سارة بفزع لا تعلم ماذا جرى لها.

- جنة.. جنة مالك فيه إيه؟ إيه اللي حصل؟ أبوس إيدك ردّي عليّا.

لكنها لم تسمع منها سوى البكاء والنواح، لاحظَت سارة قراءتها لخبر ما بهاتفها؛ فأمسكته لتجد على صفحة هشام منشورات تهنئة لخطوبته التي ستقام ليلًا.

ضمتها سارة وزادت في احتضانها، ريثما أتى أحمد مهرولًا فزعًا من هيئتهما متسائلًا:

- فيه إيه يا سارة؟ هي مالها؟ جنة جنة، اهدّي بس وفهّميني.

أعطته سارة هاتف جنة من خلف ظهرها، استحالت عيناه إلى اللون الأحمر القاني وثارت الدماء في عروقه؛ فلم يشعر بنفسه سوى وهو يقذف بهاتفها حيث الجحيم.

ثم صرخ حانقًا:

- أنا مش فاهم انتِ عاملة في نفسك كل ده ليه؟ ده واحد أُقسِم بالله مايستاهل دمعة واحدة منك.. الرجالة مابتحبّش بإخلاص يا جنة زيكوا، وده أصلًا ماحبّكيش ده كان بيخدعك، فُوقِي لنفسك يا جنة.. هاه نفسك وبس.

لا تدري جنة إن كان حديثه هذا محض افتراء على الرجال أم أنها الحقيقة أم ما زال قلبه يؤلمه جرّاء حبّه القديم الذي لم يكتمل، وقد أصبح منذ ذلك الحين يدّعى البلادة وعدم الشعور بالحب، وكأنه وصمة عار في جبين الرجل.

*****

في المساء وبينما كان هشام يستعد بغرفته، دخل عماد وعلى وجهه علامات اليأس والاكتئاب؛ فسأله هشام:

- إيه يا ابني مالك؟ عامل زي اللي رايح جنازة ليه؟

رد عماد بمرارة:

- طب متحاولش تبيّن انتَ بس إنك مبسوط!

- طبعًا مبسوط، مش خطوبتي النهاردة.. مين قدّي بقى.

- الكلام ده كان ممكن تضحك بيه علينا لو ماشوفناش كل حاجة بعنينا في المستشفى.

- شُفت إيه يا أهبل انتَ! سيبك من الكلام ده وتعالَى ساعدنى اظبطلي البتاعة دي.

- شُفت حبكوا اللي باين في عنيكوا وتصرفاتكوا ولهفتكوا على بعض، ليه مصمّم يا هشام تهدّ المعبد على اللي فيه؟

- يووه! عماد أنا فاهم كل ده، بس خلاص فات الأوان لكل ده، واليوم قُدّامي طويل وملیان مصايب، سيبني أركّز.

- مصايب وتركّز! هشام انتَ مخبّي حاجة، مش كده؟

أمسكه من ذراعه، وأداره ناحيته مرددًا:

- يا عم انتَ بكلمك.

رد هشام بضيق:

- مفيش حاجة يا عماد، عايزك بس تخلّي بالك من حنين ومنيرة وهتفهم كل حاجة في وقتها.. يلّا بقى اتأخرنا، احنا هنبات هنا؟

خرج عماد معه متأففًا يكره الغموض وعدم وضوح الأمور، لكنه كان على يقين بأن هشام لن يخبره أمرًا ما لم يُرِد ذلك.

*****

كانت القاعة مفتوحة يحيطها الحدائق وحمام سباحة كبير يفصل بين أقارب العريس وأقارب العروس، وفي نهايته أريكة معدنية مزدانة بالورود يجلس عليها العروسان، تتألّق لارا بفستانها الممزوج لونه بين الأبيض والمُوفْ مرصّع باللآلئ، تلوح السعادة على وجهها الباسم، بينما كان هشام موجّهًا تركيزه إلى جهة أخرى.

كان الحفل مليئًا بأصدقائه من الجهاز، فجاءه جمال يهنّئه، فوقف هشام وصافحه؛ فقال جمال بابتسامة:

- ألف مبروك يا هشام بيه.. ربنا يتمم بخير.. مبروك يا آنسة لارا.

ابتسمت له لارا، بينما رد هشام:

- الله يبارك فيك يا جمال، عقبالك بقى، إيه مش ناوي؟

ضحك جمال قائلًا:

- أنتم السابقون ونحن اللاحقون يا باشا.

ثم تنحنح وأضاف بصوت خافت:

- صحيح يا هشام بيه، هو سامر ماجاش ليه؟

- اللي زي سامر ده أنا عارفُه كويس، طالما ماعزمتوش مش هييجي.

في الناحية الأخرى، اتجهت منيرة بسعادة بالغة إلى حنين تمسك بيدها علبة الخواتم، وطلبَت منها أن تمضي بها إلى العروسين، لكن حنين كانت تزمّ فمها بغيظ لا ترد، فلكزتها منيرة قائلة:

- يا بت قومي يلّا وافردي وشك ده شوية، دي خطوبة أخوكي الوحيد وبنت خالتك.

قالت حنين بكمد:

- أنا مش عارفة مين فينا اللي بنتك، انتِ بتحبّيها أكتر منّي على فكرة.

- خليكي كده غلّي منها.

- أنا أغلّ من البت المسلوعة دى! دي بومة.

- شُفتي بقى إنك بتغلّي!

- لا انتِ اللي بتفضّليها عليّا.

- وما أفضّلهاش ليه؟ مش بنت أختي! يعني بنتي، وكمان هتبقى مرات ابني، يعني غلاوتها عندي هتزيد.

- إيه ده يا ماما؟ يعني انتِ فعلًا بتفضّليها عليّا؟!

ضحكت منيرة واستأنفت:

- قومي يا بنتي ربنا يهديكي.. ما تشوف يا ابني الطفلة اللي انتَ متجوّزها دي.

- لا أنا أصلي ماحبّش أتدخل بين طفلة ومامتها.. قصدي مراتي ومامتها.

حدجته حنين بتوعد؛ فداعب أرنبة أنفها باصبعيه مغازلًا "حياتى يا نااس"؛ فصاحت بغيظ:

- ياعماااد.. قولتلك مابحبّش الحركة دي.

ضحك عماد ومنيرة، بينما قامت حنين مجبَرة ومضت قدمًا نحو هشام ولارا تصطنع التبسم، وناولَته علبة الخواتم؛ فأخذها منها وألبس لارا خاتمها، ثم تناوبا الأدوار وصفّق لهما المعازيم، ومن ثم أَعلَن مُنظم الدّي جي عن رقصة العروسين؛ فنهضا، وبينما هما في طريقهما تخلف هشام عن لارا قليلًا وتحدث في سماعة البلوتوث بأذنه:

- ها يا عاصم، إيه الأخبار؟

- اطمّن سعادتك يا فندم، هو دلوقتي في طريقه لتنفيذ الخطة واحنا وراه.

لفّت لارا يديها حول عنقه وبدوره وضع يديه على خصرها، وبدآ الرقص على موسيقى رومانسية حالمة يلتقط لهما الأصدقاء الصور، وقاموا بمشاركتها على موقع الفيس بوك، وليتهم يعلمون أن هناك قلبًا يحترق برؤيته تلك الصور ومقاطع الفيديو، فكانت جنة تشاهد حسابه، وصدمها ذلك حتى

باتت تصرخ في صمت، تضع كلتا يديها على فمها حتى كاد ينقطع نياط قلبها عوضًا عن أحبالها الصوتية.

*****

في مكان آخر قريب من القاعة وبشقة بلا أبواب ولا نوافذ بعمارة لم يتم تشطيبها بعد، دخل الضابط عاصم وفريقه خلسَة يسيرون دون إصدار صوت، وساعدهم على ذلك ضوضاء الحفل، حتى هتف عاصم شاهرًا مسدسه:

- اثبت مكانك يا نقيب جمال!

انتفضَ جمال ملتفتًا نحوهم بصدمة، وترك بندقيته لتسقط أرضًا.

*****

انتهت الرقصة، ووصل هشام صوت عاصم مرة ثانية يقول:

- هشام بيه سامعني؟
- معاك يا عاصم.
- كله تمام يا فندم، وقبضنا على النقيب جمال متلبّس.

استغل هشام انشغال لارا مع صديقتها وخرج إلى سيارته، والتي كان بها جهاز اللاسلكي؛ فتناوله هاتفًا:

- سامر!

- معاك يا هشام بيه.. كارولين اتحرّكِت من عشر دقايق، وفي طريقها لفيلا ماجد الحُر واحنا وراها، والقوة محاصرة المكان هناك.

- تمام، وأنا بيني وبين الفيلا عشر دقايق، هوصل قبلكوا وهستناك في المكان اللي اتفقنا عليه.

- تمام سعادتك يا فندم.

*****

في فيلا ماجد الحر:

كان ماجد يناقش أمور أعماله وصفقاته المشبوهة مع مدير مكتبه:

- الصفقة دي لازم ترسَى على شركتنا يا محمود بأي ثمن.

- ماتقلقش يا فندم؛ الراجل بتاعنا هناك وبعتلنا كل التفاصيل والعروض اللي قدّمتها الشركات المنافسة، وهنقدم أفضل عرض.

- مش هتلحقوا.

انتبه ماجد ومساعده إلى الصوت من خلفهما؛ ليجداه في بؤرة ميتة لا تراها الكاميرات ولا يقف بها الحراس.

تحدث هشام في جهاز اللاسلكي:

- ألو عمليات.
- ابدأ الإشارة.
- هنقتحم حالًا.

كانت تلك كارولين تشهر سلاحها صوبَ ماجد، والذي تمركز حوله حراسه يشهرون مسدساتها؛ فباغتتهم بالضرب واتّخذَت من الجدار ساترًا لها، لكن ما لم تضعه في حسبانها هو ذلك المسدس المصوب برأسها من الخلف؛ فالتفتت بعينيها لتجده هشام، اتسعت عيناها صدمة فكانت تعتقد أنه في زمن كان في ذلك الوقت.

توقف الضرب وانتشرت القوة وقبضت على ماجد وكارولين.